جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
EISSN: 2588-2384،ISSN: 1112-4377
المجلد: 29 العدد 03 السنة 2025
مجلة المعيار
EL MIEYAR

التراث المادي لفترة ما قبل التاريخ بالصحراء الوسطى

The materiel heritage of the prehistoric period in the central desert

اوبراهم جوهر [1]
djouher.oubraham@univ-alger2.dz,

تاريخ الاستلام: 2025/02/04 تاريخ النشر: 2025/06/01
Received: 04/02/2025 published: 01/06/2025

ملخص المقال:

يتناول هذا المقال عرض المحتوى الاثري المادي الذي ينتشر بمنطقة الصحراء الوسطى التي كانت موطنا لمجتمعات توافدت وتعاقبت على هذه المناطق الشاسعة. خلال فترة ما قبل التاريخ، تاركة لنا شواهد مادية عبرّت عن جوانب من حياتها اليومية وعن بيئتها القديمة. نحاول من خلال هذا البحث المساهمة لدراسة هذا التراث المادي لهدف الإسهام في اثراء المعرفة العلمية عن هذه المجتمعات وأنماط معيشتها. كما نطرح إشكالية سبل الحفاظ على هذا التراث المتبعثر على الهواء الطلق وكيفية دمجه في خدمة التنمية المستدامة والمجال السياحي.

الكلمات المفتاحية: التراث، الأثري المادي، مواقع ما قبل التاريخ، الصناعة الحجرية، علم الآثار الوقائي.

Abstract

This article deals with a presentation of various material archaeological content, which is spread in the central desert region of Algeria, which was home to societies that flocked and succeeded one another to these vast areas, during the prehistoric period. These social groups left, material evidences that expressed aspects of their daily lives and their ancient environment. Through this research, we try to contribute to the study of this material heritage with the aim of contributing to enriching scientific knowledge about these communities and their lifestyles. We also raise the problem of ways to preserve this heritage, scattered on open air and how to integrate it into the service of sustainable development and in the Saharian touristic sector.

Key words: Material heritage, prehistoric sites, lithic industries, preventive archaeology

(1) *معهد الاثار جامعة الجزائر2.*

مقدّمة :

حظيت الجزائر على غرار الدول الأخرى بتراث مادي هام، يتوزع تقريبا على كل التراب الوطني، ميزته مكونات مادية متنوعة، عكست مختلف فترات التعمير التي عرفتها هذه الأولى منذ عصور ما قبل التاريخ، وقد بينت نتائج الدراسات الحديثة عن أقدمية الاستقرار البشري بالجزائر منذ حوالي 2.4 مليون سنة. هذا التاريخ الذي جعل من بلادنا إحدى المراكز الأولى لظهور وتطور الإنسان في المعمورة (Sahnouni M.2018). وتعد الصحراء الوسطى (الأهقار والطاسلي ناجر) من أهم المواقع التي تزخر بلقى أثرية متنوعة، تعود لفترات مختلفة، تمتد من العصر الحجري القديم حتى الفترات التاريخية، تشهد نشاطا بشريا بها. كما تعكس جوانب من حياتها اليومية وعن بيئتها القديمة المختلفة، وغطاء نباتي كثيف كان يسد حاجيات الحيوانات التي عاشت بهذه المناطق كالفيلة والكركدنيات وفرس النهر وغيراها من الأنواع التي تعيش في بيئات رطبة أو شبه رطبة تختلف عن البيئة الحالية بالصحراء. كما أكدت هذه المخلفات المادية عن مهارة المجتمعات القديمة في ابتكار وسائل وطرق للتكيف مع البيئات المتذبذبة للحفاظ على البقاء. ومن خلال هذا المنطلق سوف نحاول في هذا المقال التعرض لبعض الآثار المادية لفترة ما قبل التاريخ بالمناطق الصحراوية، من خلال نتائج الدراسات الميدانية التي قمنا بها خلال العشرية الأخيرة وفيها نحاول الإجابة على مجموعة من الإشكاليات تمثلت فيما يلي:

ما هي طبيعة التراث الأثري المادي لفترة ما قبل التاريخ بالصحراء الوسطى؟ وما هو دوره في التعرف على المجتمعات القديمة بالصحراء وعلى أنماطها المعيشية أمام غياب النصوص المدونة عن هذه الحضارات الغابرة؟ وما هو دور علم الآثار الوقائي في حماية هذا التراث المادي؟ وكيف يساهم هذا الأخير في خدمة السياحة والتنمية المستدامة؟

استوجب هذا الموضوع اتباع منهجية عمل تمثلت في التعريف بالتراث المادي عامة وتراث فترة ما قبل التاريخ خاصة بهذه المناطق، بحيث ارتكز المقال بتسليط الضوء على المحور الثاني المتمثل في طبيعة التراث الأثري لفترة ما قبل التاريخ اعتمادا على مجموعة من المواقع النموذجية ثم التعرض الى أهمية هذا الأول للتعرف والتعريف بالمجتمعات البشرية والتعاقب الحضاري بهذه المناطق الشاسعة. كما حاولنا إدراج تجربة علم الآثار الوقائي في حماية هذا التراث الوطني والعالمي وكيفية دمجه في خدمة السياحة و التنمية المستدامة والذي ختم بالنتائج المتوصل إليها وبعض التوصيات.

1- تعريف التراث الأثري المادي:

رغم تعدد المفاهيم حول التراث بصفة عامة إلا أنها تتفق على كون التراث يمثل كل أثر مادي أو غير مادي خلفه الإنسان في الماضي البعيد أو القريب والذي يلازمنا في حاضرنا ومستقبل الأجيال اللاحقة. وهو نوعان التراث المادي الثابت: يشمل المخلفات المادية الثابتة كالمباني والعمران بصفة عامة، واجهات الصخور وجدران الملاجئ المزخرفة بالنقوش والرسومات الصخرية. وتراث منقول يضم اللقى والتحف الأثرية التي يمكن نقلها من مكان لآخر كالصناعة الحجرية، العظمية، الفخار والقطع النقدية وغيرها. والتراث اللامادي يشمل كل ما هو غير مرئي كالشعر الموسيقى الاحتفالات المختلفة .... إلخ. (حميدة س.2019)

2- طبيعة التراث الأثري لفترة ما قبل التاريخ:

يشمل التراث الأثري لفترة ما قبل التاريخ تلك البقايا الأثرية التي خلفها الإنسان منذ ظهوره على الكرة الأرضية، من صناعة حجرية وعظمية وبقايا فخار وأدوات الرحى وحتى العظام الحيوانية والبشرية تدخل في هذا التراث. وهي بذلك شواهد ملموسة تعكس ثقافات تلك المجتمعات وأنماطها المعيشية التي كانت تعتمد خاصة على الصيد والقطف للحفاظ على البقاء. ثم يدخل هذا الإنسان في عصر الإنتاج والزراعة وتربية الحيوانات واستئناسها خلال العصر الحجري الحديث، الذي غير مسار الإنسانية نحو التطور والازدهار والتحكم في الطبيعة ومنه ابتكار واستغلال الموارد الطبيعية والمعدنية والدخول في عصر المعادن والتمهيد لنشوء حضارات قديمة وممالك خلال الفترات القديمة ويضم هذا التراث ما يلي:

2-1- مواقع ما قبل التاريخ:

تشمل المساحات التي استقر بها الإنسان خلال فترة ما قبل التاريخ، بحيث تتدخل عدة عوامل لتكوين هذه المواقع خاصة العامل الطبيعي والجيولوجي والتي تشمل كل من التكتونيات والزلازل والبراكين والسيول وانجرافات التربة وسقوط الأحجار وغيرها التي تتسبب في تشكل توضعات وترسبات أو اختفائها أو انتقالها من مكان إلى آخر. أما العامل البيولوجي فيشمل أثار النباتات والحيوانات التي تتراكم وتشكل الموقع، خاصة من خلال بقايا العظام التي تجلبها الحيوانات واختلاط الترسبات الأثرية التي تسببها القوارض أثناء حفرها للأتربة وديدان الأرض والحشرات المختلفة (Bertran P.et al.1997).

أما أثار النبات فتكون أثناء نموها في أماكن توجد البقايا الأثرية وحتى على سطحها والتي قد تصل أكثر من 1 م أو تعفن جذورها. وأخيرا العامل البشري الذي يساهم بنسبة كبيرة في تكوين المواقع الأثرية من خلال نشاطاته اليومية، أي التراكمات التي كانت يخلفها عند قيامه بتقصيب الأدوات الحجرية بجلب المادة الأولية أو بقايا نفايات حيوانية (عظام، أسنان، مدافع، قرون، جلود وغيرها وبقايا مواقد وخشب. إضافة إلى الآثار الميكانيكية التي يخلفها من خلال التحركات المستمرة والدوس داخل الموقع ، مما يساعد في ترسيب كل هذه المخلفات بجانب الترسبات الطبيعية الناجمة من السيول والتعرية. وبعد إخلاء المكان تتشكل هذه المواقع بعد آلاف أو مئات السنين (Tixier J.P.2000).

مواقع ما قبل التاريخ متنوعة نجد أغلبيتها على السطح على الهواء الطلق وهي مشاهد شائعة بكل المناطق الصحراوية، ربما لاستقرار الإنسان فيها أو أنها ناتجة عن أثار الحث الريحي أو السيول التي تسببت في نقلها وترسيبها في الأماكن المنخفضة على ضفاف الوديان والبحيرات والأنهار القديمة. (شكل :1)

وأخرى نجدها في مستويات، ترسبت بفعل عوامل طبيعية وسببت في دفن المخلفات الإنسانية في طبقات مختلفة يصل سمكها ما بين 40 إلى 2 م، نجدها عادة على ضفاف الوديان أو الكهوف والملاجئ تحت الصخر التي استغلها الإنسان، كملجئ تن هناكتن على سبيل المثال الواقع على بعد 90 كلم جنوب جانت بمنطقة الطاسلي ناجر، الذي أسفر عن مخلفات أثرية مهمة كالنسيج والفخار المزخرف مع بقايا حيوانية سلحفاة وأسماك وكذا بقايا عظمية بشرية مدفونة تعود للنوع الزنجي تؤرخ في حدود الألف العاشرة قح (Aumassip G.2001.2013) وموقع امكني المتواجد على الهواء الطلق بالقرب من

تمنراست بالأهقار الذي قام فيه الإنسان بتهيئة المساحات المستغلة على الهواء الطلق وفيه عثر على بقايا بشرية وحيوانية كالأسماك والسلحفاة وصنانير وحبات الطلع تدل على البوادر الأولى للزراعة أو استغلال الحبوب البرية بالمنطقة Camps (G.1969).

شكل : .1 تكوين مواقع ماقبل التاريخ ملجئ صخري او مغارة

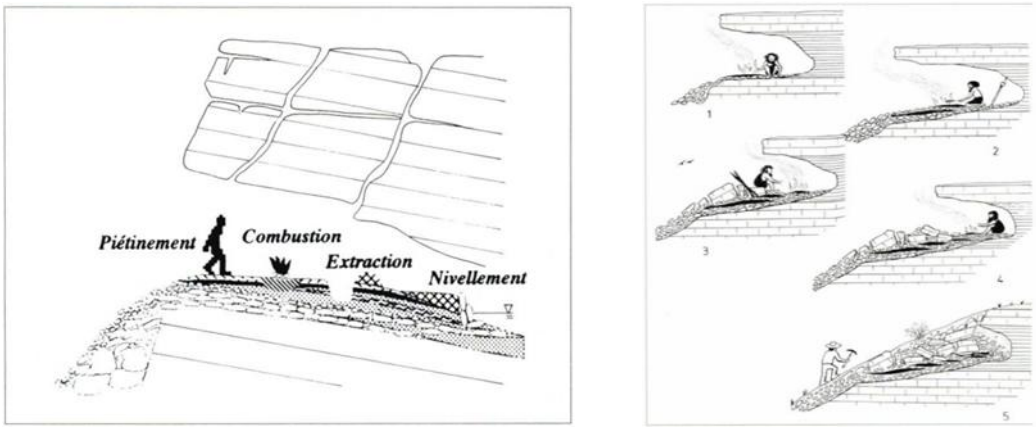

المصدر :(Berton P.et al.1997)

2-2 . مواقع الصناعة الحجرية:

تشمل البقايا الصناعية المتنوعة من حجارة أو عظام المتواجدة عادة على السطح أي الهواء الطلق مما يصعب للباحث تحديد إطارها الزمني لتعرضعها لمختلف العوامل الطبيعية والكسور والتنقل والحث، أو مدفونة في مستويات طبقية قد تصل لبعض الأمتار حسب مدة إقامة الإنسان بالموقع. وقد تسمح هذه الصناعة الحجرية بتحديد تقنية الصنع ووظائف هذه الأدوات. من خلال هذه المحتويات الأثرية المميزة لكل موقع، بادر الباحثون بترتيب أو انتساب هذا المحتوى الأثري الى عصر أو نوع بشري معين حسب مميزاتها التقنية والمورفولوجيا وتركيبتها الصناعية، تقيدا بماهو معمول به في الساحة العلمية، فنجد مواقع العصر الحجري القديم الأسفل والأوسط المتميزة بصناعة حجرية عرفت بأحادية الوجه وفؤوس يدوية وذات الوجهين مع شظايا كبيرة. ثم تنتشر الصناعة الشظوية بأحجام صغيرة كالمحكات، المكاشط، المدببات والمحتات وكذا أدوات ذات العنق المميزة للوجه الثقافي العاتري. لينتقل الإنسان فيما بعد إلى صناعة أكثر قزمية مشكلة على النصال والنصيلات مع استغلال قشور بيض النعام في صناعة الحلي وهي ميزات ثقافات العصر الحجري القديم المتأخر. (Aumassip G.2004)

أما مواقع العصر الحجري الحديث فتضم صناعة حجرية مثل الأدوات المصقولة كالفؤوس وكذا رؤوس السهام وأدوات الرحي (المدقات والمهارس) والفخار المزخرف الذي يعكس أنماط معيشية لهذه المجتمعات النيوليتية المبنية على استغلال الحبوب البرية والحليب ومشتقاته ورعي وتربية الحيوانات . (صورة .2)

شكل : 2 نموذج من مواقع ماقبل التاريخ المتوجدة على السطح على الهواء الطلق

المصدر : اوبراهم ج. 2016

2 ـ 3 ـ الشواهد العظمية البشرية والحيوانية :

تشمل مختلف العظام التي تم اكتشافها على السطح الأرض او مدفونة جراء عوامل طبيعية أو من طرف الإنسان مثل مقبرة المنخور بتدرارت جنوب شرق الجزائر التي دفنت فيها بقاريات. (Chaid saoudi Y.2007) سمحت لنا هذه الشواهد بالتعرف على السلالات الحيوانية لتي كان يستهلكها الإنسان من خلال بقايا صيد أو بقايا خلفتها اللحوميات. بعد دراسة هذه البقايا توصلنا إلى إعادة تصوير البيئات المختلفة لتي كانت سائدة خلال تلك الفترات. أما البقايا العظمية البشرية والتي نجدها مدفونة في مواقع السكن أو بعيدا عنها فهي تسمح لنا بالتعرف على الجنس والنوع البشري الذي استقر آن ذلك بالمناطق الصحراوية وعن صفاته التشريحية والبيولوجية وحتى تحديد عمر بعض من هذه البقايا.

3 . 4 . الشواهد الفخارية:

تتمثل في البقايا التي تتواجد على الهواء الطلق أو داخل توضعات أثرية على شكل شقف فخارية مع إمكانية العثور على أوان كاملة لكن بنسبة ضئيلة، وهي بذلك كظاهرة جديدة ابتكرها الإنسان خلال العصر الحجري الحديث لتخزين السوائل أو الحبوب البرية وكذا الطهي. علما أن استعمال وتشكيل المادة الطينية كانت خلال العصر الحجري القديم. وقد استعمل الفخار في طقوس الدفن ومنحه كقربين للموتى بحيث عبّر هذا الأول على هويات وثقافات مجتمعات مختلفة من خلال شكل الأواني وطرق تشكيلها وزخرفتها. يمكن أن نذكر على سبيل المثال فخار تن هناكتن وامكني اللذان تميزا بزخارف شهدة النحل والشهاب والخطوط المموجة والمنقطة التي نسبت إلى ثقافة النيوليتي الصحراوي.

شكل .3 نماذج من بقايا فخار شمال غرب الطاسلي و ادوات الرحي بأهنات بالاهقار

المصدر (جوهر أوبراهم 2016)

2 . 5 . مواقع سكنية :

تعكس فترات التعمير أو التخييم البشري في مساحات معينة على الهواء الطلق أو داخل مغارات أو ملاجيء تحت الصخر وقد تكون هذه الفترات مؤقتة أو دائمة. تشهد على النشاط البشري بها وعلى أنماطه المعيشية، بحيث يمكن التعرف على هذه المواقع السكنية من خلال مجموعة من المؤشرات، بقايا مواقد ورماد أو تراكمات حجرية تحوي عظام محروقة أو بقايا فخار وكذا أثار أعمدة أو قواعد بلاطات أو حصون من الحجارة أو تربة. تدل على ترتيب وتهيئة عدة مساحات خاصة لكل وظيفة يومية كان يقوم بها الإنسان (اوبراهم ج.2015) وهذا ما سجل في مواقع عديدة خاصة ببرج ملالة بورقلة الذي عثر فيه على ورشات للتقصيب وأخرى للرعي ومساحة لتخزين الأطعمة وللطهي، من خلال أثار مواقد (Aumassip,G.1994) نفس الأثار عرفت بمواقع كثيرة بالصحراء الوسطى خاصة بالطاسلي ناجر بموقع تين هنكاتن الذي عثر فيه على أثار مختلفة من مواقد وبقايا عظمية وصناعية، وعلى تهيئة حجرية وفخار بداخل ملجأ صخري، كانت تحاط به حجارة على شكل جدار خارجي. ربما كانت مرتبة للحماية أو كانت مخصصة كزرائب للقطعان المختلفة. فهي بذلك توضح فترات متعددة لاستغلال الملجأ منذ الألف العاشرة ق م (Aumassip, G. 1994, 2003 p.88)

نفس الشيء نجده بمنطقة الأهقار أين خلف الإنسان عدة آثار في الأماكن التي أخذها كمسكن له، خاصة بأبولاق وأدرار تويين بالتفدست وبلوني وأمكني و منيات، المؤرخة ما بين الألف السابعة والالف الثالثة ق.م ، مستغلا بذلك أجواف من الغرانيت المتقاربة كانت ربما تحاط بستار أو جدران من الألياف النباتية أو الجلد للحماية (G. 1969,1974 (Camps.

2-6- محطات الفن الصخري :

تأوي الصحراء أكبر تمركز للفن الصخري بالعالم لاشك أن تضاريسها وتركيبتها الجيومورفولوجية المتنوعة من واجهات الصخور وملاجئ تحت الصخر، ساعد في استقرار الإنسان فيها تاركا بصماته على شكل صور ولوحات فنية جميلة تحمل

رسائل ومشاهد، تعبر عن ماضي الشعوب القديمة وعن جوانب من حياتها خلال العصر الحجري الحديث وفجر التاريخ، وعن أنشطتها اليومية كالصيد، الرعي، الترحال وبيئتها القديمة من خلال تمثيل أنواع حيوانية منقرضة حاليا كالتماسيح، فرس النهر، الكركدنيات وغيرها، عكست بيئات مفتوحة وسفانا ومناخ شبه رطب يختلف عن البيئة الحالية للصحراء. وقد كان هذا الإرث المميز لمناطق الطاسلي ناجر والأهقار دافعا في اهتمام عدة باحثين بدراسته منذ اكتشافه خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أسفر بجرد ودراسة مئات من المحطات الفنية بمختلف مناطق الصحراء، ساهمت في الإشهار بها عالميا خاصة هضبة الطاسلي. كما ساهموا في اقتراح إطار زمني نسبي لهذه المعطيات الفنية، إلا أنّ الكثير من هذه المشاهد عانت عواقب هذه الدراسات، من طرف الباحثين الذين ساهموا في تلوثها وتلفها بتبليل الجدران وإعادة رسمها بمواد غير أصلية، ولم يكتفوا بذلك بل وصل بهم الأمر إلى اقتلاع أجزاء من الواجهات المرسومة لنقلها الى الخارج. وهذا ما لحظناه خلال الإعمال الميدانية التي قمنا بها خلال هذه العشرية الأخيرة خاصة بمنطقة تمسكيس بأهنات شمال غرب الأهقار. وحتّى العوامل الطبيعية أثرت سلبا على هذا التراث جراء الحت ألريحي والتعرية وزحف الرمل لتغطية هذه المساند المزخرفة وكذا أثار السيول التي كانت تجرف معها أملاح وجزيئات سببت في تلاشي الألوان أو تغطيتها جزئيا أو كليا. (شكل .4)

شكل .4 رسومات صخرية تعرضت لعوامل التلف المختلفة (نزع المنطقة المرسومة، أثار سيول تقشر الواحهة

المصدر : اوبراهم ج 2016 .الرسومات الصخرية بقطاع تهيهاوت شمال غرب الطاسيلي ازجر.

2 . 6 . المعالم الجنـائزية:

تعد المعالم الجنائزية من بين المخلفات الأثرية التي عرفتها شمال إفريقيا عامة والمناطق الصحراوية خاصة خلال الفترات الحديثة للعصر الحجري الحديث وفجر التاريخ، والتي تتوزع على مئات المواقع الأثرية على الهواء الطلق على سفوح الجبال أو ضفاف الاودية القديمة، اهتم الإنسان فيها بدفن موتاه بتشييد عدة أنماط من المعالم الجنائزية، كالجثوة بمختلف أنواعها وعلى شكل ثقب قفل الباب أو هلالية او بزينات أو على شكل مضلة ونمط القولي وغيرها. وهي بذالك عبّر الإنسان عن بداية للعمارة الجنائزية بتنويع أنماط المعالم وتقنيات التشييد المختلفة. كما مارس طقوس واحتفالات دلّت عليها المرفقات الجنائزية والطرق المتعدد للدفن (Paris F.1996) (Paris F.et,Saliege J.F.2010) لكن عملية الدفن والطقوس الجنائزية عرفت خلال العصر الحجري القديم المتأخر مع المشتويين في مواقع عديدة بالمناطق الشمالية على سبيل المثال ما عثر عليه في مغارة أفلو بورمل ببجاية وتازا بجيجل وحتى بكلومناطة بتيارت التي دلت على تنوع طرق الدفن مع مرفقات جنائزية. (ساحد ط. ع.2014)

عرفت هذه المعالم دراسات كثيرة منذ القرن التاسع عشر بمناطق عديدة من الجزائر، خاصة بالمناطق الشرقية (Letourneux A.1897). لكن المناطق الصحراوية لم تحظ بدراسات كثيرة رغم وجود هذه المعالم، نذكر على سبيل المثال أبحاث الباحث سفاري ج ب. في شمال الطاسلي بالفدنون (Savary J.P.1966) وكذا أبحاث الباحث ج ب.متر (Maitre J.p.1965) بالأهقار وبعض إشارات الباحث مونود بأدرار أهنات شمال غرب الاهقار (Monod Th.1932) وكذا أبحاث حدوش في الأهقار المركزي والجنوبي التي تكللت بنتائج هامة بعد الحفريات التي أجريت عليها (حدوش ع.2009).

وقد اتّفق العديد من الباحثين إلى انتماء هذه المعالم إلى فجر التاريخ الفترة التي لم يفصل فيها لحد الآن عن مميزاتها وبدايتها، فهي تبقى مرحلة غامضة بشمال إفريقيا عامة والصحراء خاصة. لكونها تعاصر فترة نهاية عصور ما قبل التاريخ إلى غاية ظهور الوثيقة المدونة (ساحد ط. ع.2014) لكن الدراسات الحديثة بجنوب الصحراء خاصة بالنيجر (paris f.1996) تؤكد وجود معالم تنتمي إلى فترة النيوليتي خاصة نمط ثقل قفل الباب المنتشرة أكثر بالصحراء الجنوبية بالأهقار والطاسلي وحتى بالنيجر والأكاكوس بليبيا، المورخة بالألف الخامسة ق م في منطقة النيجر (Paris F.et SaliégeJ..P.2010) وبالفدنون بالطاسلي (Berkani H. et al.2015)

3-أهمية التراث المادي لفترة ما قبل التاريخ:

تساهم دراسة التراث المادي المتنوع لفترة ما قبل التاريخ في التعريف بجوانب عدية عن المجتمعات القديمة وعن فترات التعمير البشري بالمناطق الصحراوية، التي يبدو أنها عمرت المنطقة خلال فترات العصر الحجري القديم والذي يمتد لأكثر من مليون سنة حسب نتائج الدراسات وتأريخ شواهد أثرية، مرورا بالعصر الحجري القديم الأوسط ثم العصر الحجري الحديث وفجر التاريخ حتى الفترات التاريخية.

فهم تحركات وهجرات هذه المجموعات البشرية بين مختلف هذه المساحات الشاسعة والتعرف على أنماطها المعيشية من صيد ورعي وتربية الحيوانات من خلال أنواع الأسلحة المختلفة ووظيفتها والتعرف على علاقة الإنسان بالحيوانات المصطادة أو المقدسة والأليفة من خلال البقايا العظمية. وكذا ما توضحه المشاهد الفنية عن الحياة اليومية لهؤلاء.

- التعرف على المعتقدات والممارسات الطقوسية من خلال طرق الدفن والقرابين التي كانت ترافق الموتى.
- إعادة تصور طرق واستراتيجية إنسان ما قبل التاريخ في اختيار أماكن إقامته ونوع أسلحته للتكيف مع الأزمات المناخية المتعاقبة على هذه المناطق والتي أثرت على البيئة والحيوان والإنسان.
- تميز المناطق الصحراوية بمقاومات مهمة لما تحمله من تراث متنوع يمكن أن يساهم في تنشيط وتطوير السياحة الداخلية والخارجية، تسمح باكتساب العملات الصعبة وخلق مناصب الشغل على المستوى المحلي والجهوي بإدماج الجماعات المحلية وتحسيسهم بأهمية التراث المتواجد بأماكن إقامتهم. والجمعيات الناشطة في هذا لمجال وتكوين مرشدين ثقافيين لكي يساهمون في إيصال المعرفة للجمهور والحفاظ على هذا التراث من التدهور والتلف.

4 . تجربة علم الآثار الوقائي في حماية التراث المادي:

لعب علم الأثار الوقائي رغم كونه حديث النشأة خلال 1979م دورا فعالا في التدخل لحماية وتسير المواقع الأثرية المهددة بأشغال تهيئة المساحات العامة وشق الطرقات والمشاريع الكبرى، خاصة بالدول الأوروبية التي تبنته وسنت قوانين ردعية ضد أصحاب المشاريع. كما بادرت في مشاركة الجماعات المحلية والجمعيات المختصة في التراث وعقدت اتفاقيات عديدة لحماية التراث، اعترفت بها منظمة اليونسكو ومنظمة المجلس الدولي للمواقع الأثرية والمعالم التاريخية إيكوموس (Demoule J.P.2007)

بالنسبة للجزائر فان تطبيق علم الآثار الوقائي يبقى ضئيلا جدا لغياب قوانين علم الآثار الوقائي عدا قانون 98/04 الذي ينص على حماية وحفظ الآثار، تصديا لإعمال التخريب والحفر العشوائي. وقد كانت أولى تجارب الجزائر بهذا المجال بمدينة شرشال في 2003 م خلال تظاهرة عام الجزائر بفرنسا من خلال تدخل فرقة بحث جزائرية فرنسية خلال مشروع تهيئة، كشف وجود لقى أثرية. إضافة إلى مشروع المركز التجاري بالقصبة السفلى بجزيرة لالاهم ومشروع مترو الجزائر في 2009م، الذي تدخلت فيه فرقة جزائرية من المركز الوطني للأبحاث في علم الأثمار، وأخرى فرنسية من معهد INRAP ووزارة الثقافة، تم إيقاف المشروع لمدة معينة وإجراء حفرية إنقاذية تكللت بالعثور على لقي أثرية وبقايا أصوار تعود إلى فترات مختلفة من تاريخ مدينة الجزائر (Souq F.2005.2010).

أما بالنسبة للمناطق الصحراوية فتجربة تطبيق علم الأثار الوقائي كانت خلال 2009 في موقع حاسي مومن بعين صالح أثناء شق أنابيب الغاز من طرف شركة أجنبية (عين صالح غاز) والعثور على تراث بيولوجي، تدخلت فيه فرقة الحظيرة الثقافي للأهقار ملحقة عين صالح، ووقف الأشغال بعد إجراء حفرية إنقاذية سمحت باسترجاع أكثر من 4000 قطعة من عظام متحجرة لديناصورات وتماسيح يعود تاريخها إلى الزمن الجيولوجي الثاني (تقرير ONPCA 2012)(شكل.5)

شكل:5 بقايا عظام متحجرة لديناصورات وتماسيح بموقع حاسي مومن بعين صالح

المصدر : تقرير الحظيرة الثقافية لعين صالح **2012** (Rapport ONPCA .2012)

كما تدخلت ايضا فرقة المركز الوطني للأبحاث في علم الآثار ما بين 2013 و2015 في منطقة هضبة تدمايت وشمال رقان أثناء مشروع التهيئة، تكللت بوقف المشروع وتغيير ومسار الطرقات التي كانت تمر بها الشاحنات، والقيام بحفرية إنقاذية تم فيها استرجاع كمية مهمة من البقايا الصناعية الحجرية، تعود إلى العصر الحجري القديم الأسفل والأوسط (دعموش ي. 2020)

خاتمة:

تحليل موضوع التراث الأثري لفترة ما قبل التاريخ بالمناطق الصحراوية الواقعة جنوب الجزائر سمح لنا باستخلاص مجموعة من النتائج نلخصها كالتالي:

- تنوع التراث المادي بهذه المناطق خاصة بالطاسيلي والأهقار تمثل خاصة في المواقع على السطح وملاجيء تحت الصخر أو مغارات تعود تاريخ تعميرها إلى فترات مختلفة من فترة قبل التاريخ وفجره. وهذا ما أكد لنا أهمية المناطق الصحراوية وتنوعها الجغرافي والتضاريسي وغنائها بشبكات مياه هامة والدور الذي لعبته في استقطاب المجموعات البشرية المتعاقبة للمكوث والإقامة والنشاط فيها. ويؤكد تعاقب مجتمعات بشرية كثيرة منذ العصر الحجري القديم مرورا بالعصر الحجري الحديث والفترات التاريخية .
- غناء منطقة الصحراء بأنماط متعددة من المعالم الجنائزية يدل على اهتمام الإنسان بالدفن وممارسة الطقوس الجنائزية ومحطات فنية هامة تتعرض يوميا للتدهور والتلف تنتظر الدراسة.
- دور التراث الأثري في خدمة العلم للتعرف على المجتمعات القديمة وكذا في انتعاش اقتصاد البلاد وخدمة السياحة والتفتح نحو الثقافات الأخرى والتبادل بين الشعوب والحفاظ على الهوية الوطنية التي تميز بلادنا عن الأمم الأخرى.
- أهمية علم الآثار الوقائي في التدخل الاستعجالي لحماية الآثار خاصة بعد تجربة المناطق لصحراوية في استرجاع تراث طبيعي لعظام ديناصورات وتماسيح تؤرخ بملايين السنين في حاسي مومن بعين صالح وبهضبة تدمايت شمال الصحراء والتصدي لمشاريع التهيئة العمرانية التي تسبب في تدمير التراث وإلحاق الضرر به.

توصيات واقتراحات:

يتطلب حماية التراث بكل أنواعه بالمناطق الصحراوية الشاسعة تكثيف الجهود بين الوزارة الوصية (وزارة الثقافة) والمراكز والمعاهد والحظائر الثقافية المتخصصة في التراث والجمعيات المختصة في هذا المجال إتباع مجموعة من الخطوات التالية:

- ضرورة القيام بخارجات ميدانية للمسح الأثري والبحث عن الآثار من طرف مختصين في المجال مع توفير المعدات والموارد المالية من طرف الدولة.
- جرد وتوثيق المواقع الأثرية بكل أشكالها وتكثيف الدراسات في هذا المجال بمشاركة التخصصات المختلفة والتقنيات الحديثة للحفاظ على اللقى والمعالم من التلف.
- وضع خرائط وقاعدة بيانات مخصصة مع بنك معلومات يسمح بتوثيق ورقمنة المعطيات الميدانية.
- دمج الجماعات المحلية في الحماية والتثمين وتحسسيهم بأهمية التراث المتواجد بمناطقهم السكنية باعتباره رمز للماضي والهوية.

- إعادة تسيير التراث ومراقبة تنقل الزوار والسياح مع تطبيق القوانين والعقوبات على المتسببين في تلف بكل أنواعها
- تنظيم حقائب متحفية لتلاميذ المدارس وبرمجة رحلات تثقيفية للمواقع والمعالم الأثرية وتحسسيهم منذ الصغر بأهمية التراث الذي ينتمون إليه.
- ضرورة حماية وتثمين التراث الأثري المادي للصحراء لما يحمله من أهمية للسياحة في بلادنا وتحقيق التنمية المستدامة في هذا المجال وذلك بتكثيف الجهود وتشجيع الدراسات العلمية بهذه المناطق.

المصادر والمراجع:

Aumassip G., 2001- L'Algérie des premiers hommes. Editions de la Maison des Sciences de L'Homme, Editions Ibis-Presse, p.169

Aumassip 2013- Le site de Tin Hanakaten (Tassili Azjer Algerie) et la chronologie de l'art rupestre saharien .Revue Ikosim, n°2, pp49-60.

Aumassip, G. 2004**.** Préhistoire du Sahara et de ses abords. Le paléolithique ou le temps des chasseurs. *Maisonneuve et Larose Edition*, tome 1, 381 p

Berkani H., Zazzo A., Paris F., 2015- Les tumulus à couloir et enclos de la Tassili du Fadnoun, Tassili Ajjer (Algerie).Premières datation par la méthode du radiocarbone, *Rev. journal of Africa, Archeology, Vol.13(1).ed. Africa Magna Verlag*, pp.59-67.

Bertron P.et Texier J.P.1997-geoarcheologie des versants, les dépôts de pente in- Dynamique du paysage .Ed. Documents d'archéologie en Rhône Alpes.pp.59-86.

Camps G., 1969- Amekni néolithique ancien du Hoggar. C.R.A.P.E, Alger, N°10, p.163.

Chaid–Saoudi Y., 2007- Les bovidés du site holocène de Mankhor (Sahara central) observation paléontologique, archéozoologiques et taphonomiques. *Revue ATHAR, n°6*, pp.146-156

Demoule J.P.2007-L'archéologie préventive dans le monde, la découverte, Paris

Letourneux A., 1867- Sur les monuments funéraires de l'Algérie orientale.Archiv.fur Anthropologie t.II, pp.307-320.

Maitre J.-P., 1965- La sépulture néolithique de Tamanrasset II (Ahaggar). Libyca. t. XIII : 139-155.

Paris F., 1996- Les sépultures du Sahara nigérien du néolithique àl'Islamisation. 2t. Editions ORSTOM

Monod Th., 1932- L'Adrar Ahnet. Contribution à l'étude archéologique d'un district saharien. Paris, Trav. et. Mém. de l'Institut d'Ethnologie. XIX, 199 p.

OPNCA -2012 .- Rapport de fouille de Hassi Moumene Ain Saleh .

Paris F.et Saliege J.F..2010-Chronologie des monuments funéraires sahariens Problèmes, méthode et résultats, Les nouvelles de l'archéologie, n°120-121, pp.53-56.

Reygasse M., 1950 – Monuments funéraires préislamiques de l'Afrique du Nord. Arts et Métiers Graphiques. Paris, 134p.

Samer K. 2013-Rapport technique, Mission d'intervention à Hassi Moumene, Opération de tamisage du 10-12-2012au 15-01-2013,OPNCA In Saleh

Sahnouni, M., Parés J.-M., Duval, M., Caceres, I., Harichane, Z., Jane van der, M., Pérez-Gonzalez, A., Abdessadok, S., Kandi, N., Derradji, A., Medig, M., Boulaghraif, K. and Semaw, S. 2018**.** 1.9-million - and 2.4-million-year-old artifacts and stone tool– cutmarked bones from Aïn Boucherit, Algeria. *Science*, 362, 1297–1301.

Savary J.-P., 1966 – Monuments en pierres sèches du Fadnoun (tassilin Ajjer). Mémoires CRAPE, Alger, Arts et métiers graphiques. Paris, 73 p.

Souq F.2005- Rapport d'expertise du projet d'évaluation du projet d'évaluation archéologique :Ilot Lallahoum (Icosim), in Atelier euro-maghrebin .Patrimoine et aménagement du territoire :l'archéologie préventive ,UNESCO-Inrap,pp.80-84.

Souq F.2010-Un partenariat de l'Inrap avec l'Algérie pour le développement de l'archéologie préventive, Serie n°2.Arche pages, Archéologie sans frontières.

Tixier J.2000- A propos des processus de formation des sites préhistoriques, Paléo. Revue d'archéologie préhistorique ,12 , pp.379-386

بالعربية:

اوبراهم ج. 2015 – المسكن من خلال الرسومات الصخرية بالطاسلي ازجر ،مجلة اثار العدد 13 ، ص .ص 8-15

اوبراهم ج. 2016 – دراسة الرسومات الصخرية بقطاع تميهاوت الطاسلي ازج الصحراء الوسطى-الجائر، شهادة دكتوراه علوم، معهد الآثار.

حدوش عبد القادر 2009- الأهقار المركزي والجنوبي في فجر التاريخ، شهادة الدكتوراه في أثار ماقبل التاريخ، معهد الآثار.

حميدة س. 2019 – عناصر التراث الثقافي اللامادي الجزائري ومنهجية صونه، مجلة الآداب العدد1 مجلد 19.

دعموش ي.2020- تطبيق علم الأثار الوقائي على مواقع جنوب غرب هضبة تادمايت وشمال رقان (الصحراء الجزائرية : دراسة مورفونكنولوجية للمجموعات الصناعية الملتقطة لفترتي العصر الحجري القديم الأسفل والأوسط (المحفوظة بالمركز الوطني لأبحاث علم الأثار – بالجزائر العاصمة)، شهادة دكتوراه ل.م.د في علم الآثار الوقائي، معهد الآثار .

ساحد ط. ع. 2014-الدلالات الرمزية للدفن في المجتمع الجزائري خلال فترة فجر التاريخ، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية العدد 6.